الصحراء الغربية.. المغرب أم البوليساريو ؟

د. راغب السرجاني

أحسب أن قصة الصحراء الغربية من القصص التي يجب أن ينتبه إليها المسلمون بقوَّة، ليس في المغرب وحدها، ولكن في كل بلاد العالم الإسلامي؛ فوضعها خطير، وقد يكون له تداعيات على المنطقة كلّها. ولقد ذكرتُ في المقال السابق "المغرب وقصة الصحراء الغربية" بداية القصة، وعرفنا الأطماع الاستعمارية الفرنسية والإسبانية في المنطقة، ورأينا كيف سبقت إسبانيا باحتلال منطقة الصحراء الغربية الواقعة في منتصف المملكة المغربية آنذاك، وذلك في سنة ١٨٨٤م، ثم تبعتها فرنسا باحتلال جنوب المغرب (المعروف الآن بموريتانيا) سنة ١٩٠٢م، ثم تطور الأمر في سنة ١٩٠٦م عندما أقدمت فرنسا وإسبانيا على احتلال بقية أجزاء المغرب؛ حيث احتلت إسبانيا منطقة الريف في أقصى شمال المغرب، واحتلت فرنسا

بقية أجزاء المغرب؛ لتقع المملكة بكاملها في براثن المغتصبين من الفرنسيين والأسبان.



في مصر محمد عبد الكريم الخطابي

ورأينا جميعًا أن هذا الاحتلال لم يكن من فراغ، فقد كان الحكم في المغرب آنذاك في غاية الضعف، وكان الولاء للدول الأوربية هو السائد، ولم تكن هناك رؤية سليمة عند معظم من أداروا الأمور في هذه الفترة.. ومع ذلك فإننا رأينا حركة واعية من الشعب المغربي الأصيل، الذي لم يكتفِ بمقاومة المستعمرين، إنما ثار على سلاطينه المرّة تلو المرة، بل قام بخلع بعضهم ممن يوالون الأجانب صراحة، وقامت حركة الأمير المجاهد عبد الكريم خطابي ثم ابنه محمد عبد الكريم الخطابي، إلا أن الأخير – برغم نجاحه في أكثر من موقعةٍ في مقاومة المستعمر الإسباني – قد تَمّ اعتقاله، ونفيه إلى جزيرة ريونيون بالمحيط الهندي.

هدأت الأمور نسبيًّا بعد نفي محمد عبد الكريم الخطابي، وتولى السلطنة في المغرب السلطان محمد بن يوسف المعروف بمحمد الخامس، وذلك في سنة ١٩٢٧م، واستقرت الجيوش الفرنسية والإسبانية في كل قطاعات المغرب من


السلطان محمد الخامس

أقصى الشمال إلى جنوب موريتانيا.. وحدثت بعض الصراعات بين الجيشيْن الأوربيين نتيجة اختلافهما على تحديد أملاك كل واحد منهما! وانتهى الأمر في سنة ١٩٣٢م باتفاقية ضمت كل أجزاء الصحراء الغربية إلى إسبانيا، وتحديدًا إقليم الساقية الحمراء في شمال الصحراء الغربية، وكذلك إقليم وادي الذهب في جنوب الصحراء الغربية.

ثورة الشعب المغربي

استمرت ثورات الشعب المغربي الأصيل، سواءٌ في الشمال أو في الصحراء الغربية أو في موريتانيا، وزادت حدة الثورات في سنة ١٩٥٢م عندما عزل الفرنسيون السلطان محمد الخامس، ووضعوا مكانه رجلاً آخر هو محمد بن عرفة، ولكن فرنسا ازدادت في قمعها للثورة، وقامت بنفي السلطان محمد الخامس، وابنه الحسن إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر، وذلك في سنة ١٩٥٣م.

ولكن هذا لم يهدِّئ الثورة، بل زادت وتوهجت، وعُرفت بثورة "الملك والشعب"، وشعرت فرنسا أن الأمور تخرج من يدها، فاضطرت إلى إعادة السلطان محمد الخامس إلى المغرب ١٩٥٥م، بل قامت بالجلاء عن الشمال المغربي سنة ١٩٥٦م؛ لينال هذا القسم من المغرب استقلاله، وفي نفس الوقت رحلت إسبانيا عن منطقة الريف في أقصى شمال المغرب، وإن ظلت تسيطر على مدينتي "سبتة ومليلية".

ومع استقلال هذا الجزء من المغرب إلا أنّ الصحراء الغربية ظلت تحت الاحتلال الإسباني، وكذلك موريتانيا ظلت تحت الاحتلال الفرنسي، وازدادت الثورات في هذه المناطق لتحقِّق التحرير كما حدث في الشمال، لكنَّ الاستعماريْن الفرنسي والإسباني قاما بالتنسيق معًا سنة ١٩٥٨م في اتفاق أم شمال موريتانيا)؛ لقمع ثورات المسلمين في هذه المناطق. وبالفعل تم)قرين القضاء على الحركة المسلحة في منطقة الصحراء الغربية، وفي نفس السنة ١٩٥٨م لتتوقف لأكثر من عشر سنوات عن المقاومة، لكن الأمر في موريتانيا كان مختلفًا؛ حيث أدت الثورات إلى خروجِ فرنسا من موريتانيا سنة ١٩٦٠م، لتعلن هذه المنطقة استقلالها، ولكن كدولة منفصلة عن المغرب، وهي المعروفة الآن بدولة موريتانيا.

انقسام على السيادة

شعرت إسبانيا بالقلق الشديد لاستقلال المغرب وموريتانيا، ومِن ثَم أعلنت م أن الصحراء الغربية محافظة إسبانية، في محاولة لصرف أذهان 1961سنة المغاربة تمامًا عن هذه المنطقة. وفي هذا الوقت توفِّي السلطان محمد الخامس ليخلفه في حكم المغرب ابنه الملك الحسن الثاني، الذي آثر الطريق السلميّ في حل مشكلة الصحراء الغربية وموريتانيا، فلجأ إلى الأمم المتحدة لكي يطالب بتحرير الصحراء الغربية، وضمّ موريتانيا إلى المغرب كما كانت قبل الاحتلال الفرنسي لها، وهذا – لا شك – أدى إلى أزمة واضحة بين المغرب وموريتانيا.

تحررت الجزائر في سنة ١٩٦٢م من الاحتلال الفرنسي، وما لبث أن دخلت في صراع عسكري مع المغرب الشقيق بخصوص منطقة تندوف، وهي أرض مغربية ضمها الاستعمار الفرنسي للجزائر، وطالب بها المغرب بعد استقلال

حرب " الجزائر، لكنْ لم يتوصل الطرفان إلى حل؛ فدارت معركة عُرفت بـ



استقلال الجزائر عن فرنسا سنة

سنة ١٩٦٣م، كانت لها تداعيات سلبية كبيرة على قصتنا، "١٩٦٢الرمال وسوف نُفرِد لها مقالاً لاحقًا – بإذن الله – للحديث عن العَلاقات الجزائرية المغربية، نوضح فيه هذا الملف بالتفصيل.

تدخلت الدول العربية لحل النزاع، وتم بالفعل وقف الحرب، لكن ظلت البراكين في النفوس؛ فقد بقيت تندوف بيد الجزائر، وهذا – لا شك – سيكون له أثر مستقبلي على قصة الصحراء الغربية.

ظلت الأمور ساكنة في الصحراء الغربية، مع مطالبات في الأمم المتحدة خاصة بقضية الصحراء، والجديد في الأمر أن كلاًّ من المغرب وموريتانيا بدأتا تطالبان بالصحراء الغربية! ومِن ثَمّ انقسم العرب على أنفسهم حتى في الأمم المتحدة !

في سنة ١٩٧٠م قامت انتفاضة عسكرية في مدينة العيون في الصحراء الغربية عُرفت بانتفاضة الزملة، تطالب بتحرير الصحراء الغربية من إسبانيا، وقامت إسبانيا بقمع هذه الانتفاضة بعنف شديد، وقُتل واعتقل عدد كبير من الصحراويين، لكن الأمور لم تهدأ، بل استمرت المقاومة بقوة.

وفي ١٠ مايو ١٩٧٣م تأسست جبهة عسكرية من أهل الصحراء الغربية تهدف إلى مقاومة المحتل الإسباني، وقد عُرفت هذه الجبهة باسم وكلمة البوليساريو عبارة عن الحروف الأولى لكلمة "الجبهة .البوليساريو

الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب"، وهذا باللغة الإسبانية. وقد بدأت الجبهة حربها مباشرة مع المستعمر الإسباني بعد عشرة أيام من تأسيسها.

كان التوجُّه العام لجبهة البوليساريو توجُّهًا شيوعيًّا ماركسيًّا، ومن ثَم فقد حصلت على الدعم مباشرة من ليبيا ثم من الجزائر، والذين كانوا ينتمون إلى نفس الاتجاه، بينما كان توجُّه المغرب أمريكيًّا واضحًا، وهذا يؤثر على الأوضاع كما هو معلوم.

إسبانيا وإثارة القلاقل

حاولت إسبانيا أن تقمع المقاومة العسكرية في الصحراء الغربية ولكنها فشلت في ذلك، مما جعلها تقرر الخروج من الصحراء الغربية نهائيًّا في سنة ١٩٧٥م، لكنها لم تشأ أن تخرج دون أن تترك وراءها مشكلات تُبقِي على الصراع في هذه المنطقة دومًا؛ بحيث لا تنعم باستقرار أبدًا، ومن ثَم يمكن للاستعمار أن يدسَّ أنفه من جديد في المنطقة عندما تحين الظروف. ولذا فقد قامت إسبانيا بعقد مؤتمر في مدريد يضم المغرب وموريتانيا، وأعلنت أنها ستخرج من الصحراء الغربية نهائيًّا لتترك هذه المنطقة للدولتيْن يحكمانها بالطريقة التي يريدان!

وكان هذا المؤتمر في سبتمبر ١٩٧٥م، وعُرف باتفاق مدريد، وتلاحقت الأحداث بسرعة؛ فالمنطقة يطمع فيها الكثيرون، وكل واحد له حُجّته ودليله! فالمغرب يريد الصحراء الغربية لأنها – فعلاً – جزءٌ من أراضيه، وقد احتلت سنة ثم تحررت، فلماذا لا تعود إلى أصولها؟ وموريتانيا ترى أن أخذ المغرب للصحراء الغربية سيجدد مطالبها بضم موريتانيا ذاتها إلى المغرب، ومن ثَم فالمطالبة بالصحراء الغربية أو بجزءٍ منها سيكفل أمانًا للحدود

الموريتانية. أما أهل الصحراء وجبهة البوليساريو فيرَوْنَ أن المغرب وموريتانيا لم يبذلا جهدًا عسكريًّا لحل الأزمة، وأنه لو ظل المغرب يطالب ألف سنة بالصحراء الغربية في الأمم المتحدة فإن إسبانيا لن تخرج من الأرض، ومن ثَم فهُم الذين بذلوا الجهد والدماء في سبيل التحرير، ومن هنا فهُمْ يريدون إعلان منطقة الصحراء الغربية دولة مستقلة لا تتبع المغرب أو موريتانيا، ومن الجدير بالذكر أن الجزائر وقفت مع جبهة البوليساريو في مطالبها، وذلك بالطبع نظرًا للتوجُّه الماركسي للفريقيْن، إضافةً إلى الخلفية التاريخية للصراع بين المغرب والجزائر.

سارعت المغرب وموريتانيا إلى محكمة العدل الدولية للبتّ في هذه القضية الشائكة، فقضت المحكمة في ١٦ أكتوبر ١٩٧٥م بأن هناك علاقة تاريخية بين الدولتين المغرب وموريتانيا مع هذا الإقليم الصحراوي المتنازَع عليه، ومع ذلك فإن ينبغي استفتاء جمهور الناس في الصحراء الغربية لمعرفة رغبتهم فيما لو أرادوا الانضمام إلى إحدى الدولتين أو الاستقلال.

سارع الملك المغربي الحسن الثاني في نفس اليوم بمخاطبة الشعب المغربي، للتوجُّه "المسيرة الخضراء"طالبًا منه القيام بمسيرة سلميَّة ضخمة عُرفت بـ ، وذلك (إلى الصحراء الغربية (والتي ما زالت تحت الاحتلال الإسباني أن هذه : بالتنسيق مع السلطات الإسبانية؛ لكي يتم فرض الأمر الواقع وقد شارك في هذه .الأرض تابعة للمغرب وليست لموريتانيا أو البوليساريو المسيرة السلميَّة ٣٥٠ ألف مغربي، وخرجت إلى الصحراء الغربية في ٥ نوفمبر ١٩٧٥م وعادت بعد أربعة أيام في ٩ نوفمبر ١٩٧٥م.

تقسيم الصحراء

وعلى الرغم من هذه المسيرة، وعلى الرغم من مطالبة المغرب بالصحراء الغربية كلها، بل بموريتانيا أيضًا، إلا أن المغرب جلست مع موريتانيا في حضور إسبانيا، وذلك يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧٥م بهدف تقسيم أرض الصحراء الغربية بين الدولتين!! فأخذت المغرب ثلثي الصحراء الغربية (إقليم الساقية الحمراء)، وأخذت موريتانيا الثلث الجنوبي (وهذا إقليم وادي الذهب) ، بمنطق شيء أفضل من لا شيء!!

وفي يوم ١٢ يناير ١٩٧٦م خرجت الجيوش الإسبانية من الصحراء الغربية، لتنطلق الجيوش المغربية إلى إقليم الساقية الحمراء، وكذلك الجيوش الموريتانية إلى إقليم وادي الذهب، بينما رفضت جبهة البوليساريو هذا الأمر كُلِّيَّة، بل تفاقم الأمر جدًّا عندما أعلنت جبهة البوليساريو قيام الجمهورية الصحراوية الشعبية الديمقراطية، وذلك في يوم ٢٦ فبراير ١٩٧٦م، وجعلت مقرها في تندوف (في الجزائر)،وكانت الجزائر أول الدول اعترافًا بهذه الجمهورية الجديدة، وتوالت اعترافات الدول صاحبة التوجُّه الشيوعي الماركسي مثل ليبيا وكوريا الشمالية وإثيوبيا وإيران (تحت حكم الشاه) وأفغانستان (تحت الحكم الروسي)، وغير ذلك من دول..

وبدأ صراع من نوعٍ جديد، فهذه القوة الصحراوية بدأت في الحرب مباشرة ضدَّ ما أسمتهم بالمحتلين الجدد: المغرب وموريتانيا. وإزاء هذا الموقف عُقدت اتفاقية رسمية بين المغرب وموريتانيا في يوم ١٤ إبريل ١٩٧٦م تقضي بتقسيم الصحراء الغربية بينهما؛ مما أشعل غضب البوليساريو، فتوجَّهَتْ بمهاجماتها العسكرية ناحية الطرف الأضعف وهو موريتانيا، ووصل الأمر إلى الهجوم على نواكشوط في ٩ يونيو ١٩٧٦م، في حملة قُتل فيها

.قائد الحملة مصطفى السيد، وهو رئيس جبهة البوليساريو

ازداد الموقف تأزمًا؛ مما دفع موريتانيا إلى عقد اتفاقية دفاع مشترك مع المغرب في ١٣ مايو ١٩٧٧م، فردَّت البوليساريو بهجوم جديد على نواكشوط في ٣ يوليو من نفس السنة، وشعرت موريتانيا بالخطر الشديد؛ مما دفعها إلى قبول وساطة الجزائر في ٥ أغسطس سنة ١٩٧٩م، وتم عقد اتفاق يقضي بخروج موريتانيا من إقليم وادي الذهب، وقد تم هذا الخروج سريعًا جدًّا إلا أن القوات المغربية دخلت فورًا في ١٤ أغسطس ١٩٧٩م إلى .هذا الإقليم، معلنةً ضمَّه إلى التراب المغربي

الصراع والاستفتاء



الجدار الرملي خرجت موريتانيا بذلك من الصراع، بل اعترفت بالجمهورية الصحراوية الشعبية الديمقراطية في ٢٧ فبراير ١٩٨٤م؛ وبذلك تكثَّفت هجمات البوليساريو على المملكة المغربية، وكانوا يُكثِرون من التسلل إلى داخل المغرب، حتى قامت المغرب ببناء ما ؛ بهدف منع مقاتلي البوليساريو من دخول المغرب، "الجدار الرملي"يسمَّى بـ وكان هذا الجدار بدعم من الكيان الصهيوني المسمَّى إسرائيل! وتحت .و١٩٨٧م 1980إشراف أرييل شارون!! وتم بناؤه بين عامي

استمر الصراع العسكري بين أفراد البوليساريو والمغرب حتى سنة ١٩٨٨م سنة)، حتى تمت موافقة الطرفين على الجلوس للتفاوض السلمي 13(مدة في الموضوع، وقام الطرفان في سنة ١٩٨٨م بعقد ما يسمَّى باتفاق المبادئ،

والذي يسعى لمعرفة رأي جمهور الصحراء الغربية في القضية، وعمل استفتاء يحل المشكلة، وقد تزامن هذا الأمر مع حدوث تصدعات كثيرة في التحالفات الموجودة بين الجمهورية الصحراوية وبين حلفائها، وخاصة الجزائر التي شُغلت بأحداثها الداخلية. كما تنامى المد الإسلامي في المنطقة وهو يرفض التوجُّه الماركسي لجبهة البوليساريو، وتزايدت حدة الهجوم العالمي على المغرب بخصوص قضايا حقوق الإنسان، والتعذيب في السجون، والديكتاتورية، وغير ذلك من ملفات.. كل هذا أدى إلى قبول الأطراف المختلفة بالجلوس للبحث عن حل سلمي للقضية.

لكنْ هل وصل الفريقان إلى حل؟!

إن الفريقين يتكلمان لغة مختلفة، فلا المغرب يفهم الصحراويين، ولا الصحراويون يفهمون المغاربة، ومن ثَم طال أمد المفاوضات وطال وطال، وهم يطرحون ما طرحته الأمم المتحدة من إجراء استفتاء تحديد مصير في الصحراء الغربية، ولكن هذا الاستفتاء يكاد يكون مستحيلاً في هذه الظروف، فمَن هم الذين سيقومون بالإدلاء بأصواتهم ؟ هل هم السكان في الصحراء حسب السجلات الإسبانية قبل خروج الأسبان سنة ١٩٧٥م، أم هم السكان الحاليون الذين فيهم الكثير من المغاربة، والذين دخلوا المدن الصحراوية وعاشوا فيها منذ سيطرة المغرب على الأرض، وهذا منذ ١٩٧٥م وحتى الآن، فنحن نتكلم عن ٣٤ سنة كاملة ؟ ثم مَن الذي سيشرف على الاستفتاء؟ وما هي فترة الاستفتاء وآلياته؟ ومن الذي يضمن قبول كلِّ الأطراف بنتيجة الاستفتاء ؟ وفي حالة عدم قبول طرف هل ستتدخل الأمم المتحدة بجيوشها

الأمريكية وغيرها لحلّ الأزمة، أم أن الأطراف المتصارعة لها القدرة على تطبيق ما تريد؟!

الحكم الذاتي وافتقاد الحياد

إن الأزمة شديدة التعقيد، والثقة منعدمة بين كل الأطراف، والاستعماريون ينفخون في النار ليستمر الاشتعال، والعرب في حالة من الموات، وكل هذا أدى إلى الدخول في طريق مسدود؛ فاستمرت المفاوضات سنة وسنتين وعشرة حتى أعلنوا في سنة ١٩٩٩م توقف خطة الاستفتاء لاستحالتها!

وفي ٣١ مايو سنة ٢٠٠٠م تتقدم فرنسا وأمريكا بمبادرة مشتركة لمجلس الأمن لصياغة حلّ سياسي يقوم في الأساس على إعطاء حكم ذاتي للصحراويين في الصحراء الغربية، وذلك تحت السيادة المغربية، وهو يبدو في ظاهره حلاًّ يُرضِي الطرفين، لكن الثقة –كما ذكرنا – منعدمة بين المغرب والبوليساريو.

كما أنه لا يخفى على الجميع أن فرنسا وأمريكا لم يدخلا في حل القضية بدوافع الطِّيبة والحرص على حقوق الإنسان؛ ففرنسا أحد أسباب المشكلة في المنطقة، وأمريكا أحد أسباب مشاكل الدنيا كلها، ولكنهما يريدان وضع أقدامهما في كل نقاط الصراع في العالم، ومن هنا فقد رفضت جبهة البوليساريو– ومن ورائها الجزائر – لهذا الطرح، خاصةً أن التقارب بين أمريكا والمغرب كبير، ولن تكون الوساطة تامَّة النزاهة!

وماتت المفاوضات عدَّة سنوات، ثم برزت أمريكا من جديد كوسيط وحيد في مشكلات العالم لتدعو الطرفين للتفاوض تحت رعايتها، وقَبِل البوليساريو في ظل الوضع المتردي لجمهوريتهم الاسميَّة والموجودة في تندوف بالجزائر، وبدأت سلسلة من المباحثات في ضاحية مانهاست بنيويورك في أمريكا،

ووصلت عدد الجولات بين الفريقين إلى أربعة، وقد باءت كلها بالفشل الذريع، وهم الآن يمهدون للجولة الخامسة، وأغلب الظن أنها ستفشل كما فشلت الجولات الأربعة السابقة.

لقد أصدرت الأمم المتحدة قرارًا خطيرًا بوجوب الاستفتاء في الصحراء قبل ٣٠ إبريل ٢٠١٠م، وتميل جبهة البوليساريو إلى هذا القرار، أما المغرب فتميل إلى فكرة الحكم الذاتي تحت سيطرة المغرب، وأصابع الأمريكان والفرنسيين والأسبان واليهود ليست بعيدة عن الأحداث.

فما هو حل هذه المشكلة المعقَّدة؟!

هل ينبغي أن تضمَّ المغرب الصحراء الغربية كلها وتعرض عن رغبات الصحراويين؟!

أم هل يتم تقسيم الأرض بين المغرب والبوليساريو؟!

أم هل يُقام حكم ذاتي للصحراويين داخل إطار الحكم المغربي؟!

أم هل يُجرى استفتاء بين الصحراويين لتحديد المصير؟!

أم هل يستقل الصحراويون بالصحراء الغربية، ويكوِّنون دولة ذات سيادة كاملة على أرضها؟!

أم هل تظل المفاوضات مائة سنة أخرى؟!

أم هل يرسل مجلس الأمن وأمريكا قوَّاتهم لفرض الأمن والأمان؟

شاركونا يا أصحاب الرأي، ويا أهل المغرب والصحراء الغربية وموريتانيا والجزائر، ويا عموم المسلمين الذين يريدون لأمتهم وحدةً وقوَّةً وسيادةً ومجدًا.

أمَّا أنا فأرى الحل واضحًا، والسبيلَ ممهدًا، لكنْ لهذا حديثٌ آخر، وهو موضوع مقالنا الأسبوع القادم بإذن الله.

وأسأل الله أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

د. راغب السرجاني